مركز **الخطابي** للدراسات

Khattabi Centre for Studies



تجنيد لا متناظر

جهة فاعلة غير حكومية

تستخدم طريق تجنيد العملاء المزدوجين

"حماس ضد الاستخبارات الإسرائيلية"

المصدر: المجلة الدولية للاستخبارات ومكافحة التجسس – آب / أغسطس 2022

ترجمة الخطابي للدراسات
أبريل/نيسان 2023

"تَجْنِيدٌ لا مُتَنَاظِرٌ": جِهَةٌ فَاعِلَةٌ غَيْرُ حُكُومِيَّةٍ تَسْتَخْدِمُ طَرِيقَ تَجْنِيدِ العُمَلَاءِ الْمُزْدَوَجِينَ

"حَمَاسُ ضِدَّ الِاستِخْبَارَاتِ الإِسْرَائِيْلِيَّةِ"

المصدر: المجلة الدولية للاستخبارات ومكافحة التجسس[1]

الكاتب: نيتانيل فلامر – أغسطس 2022

ترجمة الخطّابي للدراسات - أبريل / نيسان 2023

أَوْلَت حماس مسألة تحديد واستهداف المتعاونين مع إسرائيل أهمية كبرى، كجزء من حربها الاستخبارية مع إسرائيل، وتمثَّلَ أسلوب حماس في تطبيق درجات متعددة من التوقيف والتعذيب لأولئك المُشتَبَه بتعاونهم، لكن حماس اختارت في بعض الحالات اتباع أسلوب مختلف للاستفادة من التهديد وتحويله إلى فرصة، فقد قامت حماس بتحويل بعض المتعاونين إلى عملاء مزدوجين لتستخدمهم في تطوير أهدافها. يتناول هذا المقال بعض حالات تحويل العملاء إلى عملاء مزدوجين على مدى ثلاثة عقود، فدراسة هذه الحالات تكشف كيف تطورت طرق حماس لتحويل العملاء إلى عملاء مزدوجين بمرور الوقت، مع تطور الحركة. حيث باتت عمليات تحويل العملاء إلى عملاء مزدوجين أكثر تنظيماً وتعقيداً، وتُستخدَمُ لأغراض البروبوغاندا والردع وغيرها. كما يكشف المقال جانباً من نشاط حماس في مكافحة الاستخبارات في كفاحها ضد دولة إسرائيل، ويسلِّطُ الضوءَ أنه كيف يمكن لمنظمة غير حكومية استخدام العملاء المزدوجين كجزء من حربها غير المتناظرة ضد دولة.

تحتاج جميعُ الكيانات السياسية والعسكرية المعلوماتِ الاستخباريةَ كي تتمكن من تغذية أنشطتها بالمعلومات، وبالتعريف: تخوض التنظيمات الإرهابية حرباً لا متناظرة ضد الدول، وتسعى لتحقيق نتائج مؤكدة بإلحاق الأذى بأعدائها بغية الحصول على مكاسب سياسية، ولأن الصراع ليس متناظراً، تعمل التنظيمات الإرهابية باعتبارها الطرف الأضعف لتحقيق إنجازات في الاشتباك الأكبر معتمدةً أكثر الوسائل فاعلية، آخذة بعين الاعتبار فقرها للمصادر مقارنة بما لدى عدوها[2]. وينطبق هذا على شتى الوجوه العسكرية للصراع وعلى رأسها الاستخبارات.

1. International Journal of Intelligence and CounterIntelligence

2. إإيكترينا ستيبانوفا "الإرهاب في الصراع اللامتناظر، الاعتبارات الأيديولوجية والبنيوية" (نيويورك: مطبعة جامعة أوكسفورد، 2008) الصفحات 5-23.

ملاحظة: (تعني كلمة اللا متناظر: أن الطرفان اللذان يخوضان صراعاً ليسا متقابلين، فأحدهما دولة لها حكومة وجيش وجهاز أمن، فيما يكون الثاني تنظيماً أو جماعة.)[3]

تركِّز معظم دراسات الاستخبارات النظرية منها والسياسية على أجهزة استخبارات الدول أكثر من الأجهزة التابعة لجهات غير حكومية[4]، وينطبق هذا أيضاً على أبحاث مكافحة الاستخبارات المصممة لحماية الطبيعة السرية لهذه التنظيمات[5]-وهو عامل حاسم لاستمرار هذه الجماعات[6] - التي تشكِّل جزءاً مهماً من الجهات الفاعلة غير الحكومية[7]. تسلط بعض الأبحاث الضوء على هذا الموضوع الذي كُتِب عنه خلال العقد الماضي، لكن ما يزال هنالك ثغرة في الخطاب الأكاديمي[8].

التعريف الأساسي للعميل المزدوج هو: "عميل يتواصل مع جهازَي استخبارات متعاديين، يعلم واحد منهما فقط باتصال العميل بجهاز الاستخبارات أو شبه جهاز الاستخبارات الآخر"[9] من الناحية العملية يُمثِّلُ العميل المزدوج تقاطعاً ما بين الاستخبارات ومكافحة الاستخبارات، فمن ناحية تحويل العميل إلى عميل مزدوج يوقف تشغيله من طرف العدو وبالتالي يعمل كعامل مضاد. ومن ناحية ثانية العميل المزدوج أداة لجمع المعلومات الاستخبارية ضد الطرف الآخر مما يجعل العميل المزدوج مصدراً بشرياً للمعلومات إلى حد بعيد[10] وهذا هو السبب وراء تسمية عملية تحويل العملاء إلى عملاء مزدوجين بـ "كافيار مهنة الاستخبارات"[11]وهو أحد أعقد الطرق التي تتَّبِعُها مكافحة الاستخبارات[12]

3. مركز الخطابي للدراسات
4. جون آي جنتري "نحو نظرية لاستخبارات الفئات غير الحكومية"، "الاستخبارات والأمن القومي" المجلد 31، رقم 4 سنة 2016، الصفحات 465-469.
5. جوشوا كلبر "نبى الجماعات الإرهابية: الموازنة بين الأمن والكفاءة" في كراس روتليدج عن الإرهاب ومكافحة الإرهاب، تحرير آندرو سيلك (لندن: روتليدج،2018) الصفحة 165-173.
6. بليك موبلي "الإرهاب ومكافحة الإرهاب: كيف تتملص الجماعات الإرهابية من الاعتقال" (نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا، 2012) الصفحات 1-2.
7. بروس هوفمان "من داخل الإرهاب" (نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا، 2006) الصفحات 16-25.
8. ديفيد ستراتشمان موريس، تطوير نظرية لاستخدام الاستخبارات من قِبَل الجهات غير الحكومية: خمس دراسات حالة لاستخبارات الجماعات المتمردة، "الاستخبارات والأمن القومي" المجلد 34، رقم 7 (2019) الصفحات 980-984.
9. مارك ريغان "مصطلحات وتعاريف مهنية لمكافحة الاستخبارات" (واشنطن العاصمة، وزارة الدفاع،2014) الصفحة 122.
10. للاطلاع على مزيد من المعلومات حول القضايا المتنوعة التي تُعنى بتجنيد العملاء المزدوجين انظر: ويليام آر جونسون ووليام هوود "ردع الأعداء في الوطن وفي الخارج: كيف تصبح ضابط مكافحة استخبارات" (واشنطن العاصمة: مطبعة جامعة جورجتاون، 2009) الصفحات 91-134.
11. جيمس إم أولسون، الرئيس السابق لمكافحة الاستخبارات في السي آي إيه؛ ريغان مصطلحات وتعاريف، الصفحة 122.
12. موبلي "الإرهاب ومكافحة الاستخبارات" الصفحة 9.

وعلى الرغم من تعقيد الطريقة، إلا أن منظمة حماس الفلسطينية غير الحكومية، استخدمتها بنجاح تام غير مرة في كفاحها ضد دولة إسرائيل ولعقود، عرف المجتمع الفلسطيني ظاهرة تحول بعض أفراده إلى مصادر استخبارية تعمل لصالح إسرائيل ("المتعاونون")[13]. ومنذ تأسيسها في شهر كانون الأول سنة 1987، اضطرت حماس للتعامل مع جهود الاستخبارات الإسرائيلية لاختراق الحركة وإماطة اللثام عن أسرارها، ومثلَ التنظيمات المسلحة الأخرى في الضفة الغربية وقطاع غزة، أولت حماس منذ أيامها الأولى قضية كشف واستهداف المتعاونين مع إسرائيل أولوية قصوى[14]، ويشمل هذا التركيز تشكيل جهاز "المجد" لجمع المعلومات عن الفلسطينيين الذين يُشتبُهُ بأنهم متعاونون، وانطوت جهود حماس على درجات متفاوتة من الشدة تتراوح بين التعذيب والإجراءات التعسفية، بما في ذلك إتلاف ممتلكات المتعاونين المُشتبَهين، والعديد من المُشتبَهين خُطِفوا واستُجوِبُوا وعُذِّبُوا وقُتِلُوا، مع أن العديد منهم لم يعد -في الحقيقة- متعاوناً.[15]

في بعض الحالات اختارت حماس تكتيكات مختلفة: استغلال المتعاونين وتحويل التهديد إلى فرصة عبر تحويل بعض المتعاونين إلى عملاء مزدوجين واستخدامهم لتحقيق أهداف الحركة. يتناول هذا المقال بعض عمليات تحويل العملاء إلى عملاء مزدوجين التي نفَّذتها حماس بالمتعاونين الفلسطينيين مع إسرائيل على مدى العقود الثلاثة الماضية، كما تكشف دراسة هذه الحالات كيف تطورت طرق تحويل العملاء إلى عملاء مزدوجين بالتزامن مع تطور الحركة.

يعتمد هذا البحث على مصادر متنوعة، باللغة العبرية والعربية، بما في ذلك المنشورات الرسمية لحماس والمصادر الرسمية الإسرائيلية، مثل الإجراءات القضائية، حيث لم تُعطَ هذه المواد ما تستحقه من اهتمام الباحثين في هذا المجال. كما تحتل الكتابات والمصادر الصحفية المرتبةَ الثانية من مصادر هذا البحث حيث تقدمان الخلفية الضرورية وتكمِّلان صورة أنشطة تحويل حماس للعملاء إلى عملاء مزدوجين. تبرز أهمية هذه الدراسة في أنها تسد ثغرة استكشاف الطرق التي يمكن للجهات الفاعلة غير الحكومية العنيفة استخدامَ مصادر العملاء المزدوجين كجزء من حربها اللا متناظرة على الدول. كما تُسلِّطُ هذه الدراسةُ الضوءَ على جانب مهم من نشاط حماس في مكافحة الاستخبارات، وهو مُكوِّنٌ مهم في كفاحها ضد إسرائيل.

13. انظر ميلل كوهين "جيش الظل: المتعاونون الفلسطينيون مع الحركة الصهيونية ١٩١٧-١٩٤٨" (أوكلاند: مطبعة جامعة كاليفورنيا، ٢٠٠٨).

14. للاطلاع على محاولة لتوصيف وتصنيف هذا النشاط في الوقت الفعلي انظر: "المتعاونون في الأراضي المحتلة: انتهاكات حقوق الإنسان والعنف" بيتسالم، كانون الثاني ١٩٩٣.

15. يتطرق الفصل القادم لجهاز المجد بمزيد من التفاصيل، انظر أيضاً الحاشية ١٨.

عملياتُ تجنيدِ العملاءِ المزدوجين في التسعيناتِ: اغتيالُ المُشغِّلين

تأسست حماس في شهر كانون الثاني سنة 1987 عندما اندلعت الانتفاضة الأولى في الضفة الغربية وقطاع غزة، وبناءً على بنية تنظيمية تحتية ضاربة الجذور في المجتمع الفلسطيني أسَّسَ الشيخ أحمد ياسين تنظيماً جامعاً وحَّد جميع أنشطته بتوصية منه في جناحين مدني وعسكري، عملت حماس في السنوات الأولى من الانتفاضة بشكل لا مركزي عبر خلاياها المنتشرة، ونفَّذت العديد من العمليات التي استهدفت مدنيين وأفراد أمن إسرائيليين، وردَّت إسرائيل بضربات قاسية تمثَّلت باغتيال واعتقال المئات من ناشطيها[16]. لكنَّ حماس وفقاً لتعبير يعقوب بري _الذي شغل آنذاك منصب مدير وكالة الأمن الإسرائيلية (المعروفة بالشاباك) _ تنظيمٌ قادر على التعافي من نكساته بسرعة مدهشة"[17].

خلال الانتفاضة الأولى، ضد إسرائيل، كان المجتمع الفلسطيني ممزقاً بين أطراف الصراع المتعددة، وفي هذه الأجواء كانت تهمة التعاون مع إسرائيل واحدة من أكثر الذرائع شيوعاً واستخداماً في الهجمات المتبادلة. وأخذ مصطلح "متعاون" معانٍ عديدة لم يكن منها بالضرورة الأشخاص الضالعون في مكافحة الاستخبارات. والعديد من المُشتبهين بالعمالة لإسرائيل اختُطِفوا وضُرِبوا وأُعدِموا[18]. وأولت حماس هذه القضية أهمية كبيرة، كما يتضح من ميثاق التنظيم سنة 1988، الذي ينص على أنها ترحِّب بكل مسلم يستوفي شروطاَ مُعيَّنة، منها: "الحفاظ على سريَّة الجماعة"[19].

قبل تأسيس الجماعة رسمياً، أُنشِئ جهاز المجد[20] سنة 1986 كي يكشفَ ويحيِّدَ أي مشتبه به بالتعاون مع إسرائيل، وعملاً بفتوى من الشيخ ياسين سمحت بتحييد المتعاونين، لاحقَ التنظيمُ المشتبهين خلال الانتفاضة، واختطفهم، واستجوبهم، ثم أعدمهم بعد انتزاع اعترافاتهم (مع أن بعض المشتبهين لم تثبُت إدانتهم بالاتهامات الموجهة إليهم)[21]. وقُبيل انتهاء الانتفاضة اتبعت حماس نهجاً مختلفاً، ألا وهو تجنيد المتعاونين كعملاء مزدوجين واستغلالهم لتنفيذ مآربها.

---

16. شاؤول ميشال وافراهام سيلا "حماس الفلسطينية: الرؤية والعنف والتعايش" (نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا، ٢٠٠٠) الصفحات ١٥٥-١٥٩؛ طارق باكوني "حماس: الصعود وتهدئة المقاومة الفلسطينية" الصفحات ٢٠-٢٨.
17. يعقوب بري "آتٍ لقتلك" (تل أبيب: كيشت، ١٩٩٩) الصفحات ٣٤،٦٤-١٦٨،٦٥.
18. المتعاونون في الأراضي المحتلة، كانون الثاني ١٩٩٣.
19. ميثاق حماس، حركة المقاومة الإسلامية، ١٩٨٨ (حُرِرَ وطبع اعتباراً من سنة ٢٠٠٤) الصفحة ٧.
20. تعني "جماعة الجهاد والدعوة".
21. ميشال وسيلا "حماس الفلسطينية" الصفحة ١٥٦.

وجرت أولى العمليات من هذا النوع سنة 1993، عندما اعتقلت السلطات الإسرائيلية ماهر أبو سرور لانتمائه لحماس ودعمه أنشطتها في الانتفاضة الأولى، وفي شهر كانون الأول سنة 1992، وبعد إطلاق سراحه من السجون الإسرائيلية جنَّدَهُ الشين بيت كمتعاون، وكانت مهمته الأولى جمع المعلومات حول الإرهابيين الذين يعيشون في مخيم عايدة قرب بيت لحم حيث يسكن، وخلال الوقت الذي تعاون فيه تنامى لديه الشعور بالندم على التجسس على أبناء شعبه ولذا اعترف بعلاقته بإسرائيل لأعضاء في حماس، الذين قرروا الاستفادة من صلاته وطلبوا منه قتل مُشغِّله حاييم ناحماني، تكفيراً عما اقترف .[22]

وافق أبو سرور وشرع بتنفيذ ما طُلِب منه، بمساعدة اثنين من أبناء عمه، فضرب موعداً للقاء ناحماني في الثالث من شهر كانون الثاني سنة 1993، في بيت آمن في حي ريهافيا بالقدس. وعندما وصل ناحماني هاجمه الثلاثة بعد أن كمنوا له، وقتلوه طعناً بسكين وضرباً بمطرقة، ثم استولوا على حقيبته التي احتوت حسب مزاعم حماس على معلومات عن متعاونين آخرين (استُخدِمَت لاحقاً لكشفهم) ثم فروا إلى بيت لحم، ثم تمكن أبو سرور من التملص من أجهزة الأمن الإسرائيلية التي كانت تطارده بتهم عديدة، لكن في الأول من تموز سنة 1993، شارك برفقة رجلين آخرين في هجوم فاشل على حافلة في القدس، وقُتِل أبو سرور في تبادل إطلاق نار مع جنود إسرائيليين .[23]

وبعد العملية الأولى بسنة، نفَّذت حماس هجوماً مشابهاً، ففي الثاني والعشرين من كانون الأول سنة 1993 قتلت حماس إسرائيليين اثنين كجزء من سلسلة عمليات الانتقام رداً على اغتيال عضو رفيع في جناحها العسكري "عماد عقل" وخلال تحقيقها في هذا الهجوم اعتقلت إسرائيل عضوين من التنظيمات الإرهابية في المنطقة. أحدهما عبد المنعم أبو حامد، الطالب في جامعة بيرزيت، قسم الآداب، وخضع لتحقيق أجراه الشين بيت استمر ثلاثة أسابيع وافق خلالها على التعاون مع إسرائيل وجمع المعلومات التي تطلبها. كان اسم مشغله نعوم كوهين واسمه الحركي كابتن مجدي، وقد انضم للشين بيت أوائل التسعينات وكان مُشغِّلاً شاباً متألقاً .[24]

22. الشهيد القسامي ماهر أبو سرور، على موقع القسام الالكتروني، بلا تاريخ، alqassam.net/arabic/martyrs/details ://https/١٤٨٨; جاي أفيدان "أقصى حماس" (تل أبيب، دار نشر معركوت همدان، ٢٠١٤) الصفحات ٤٧-٤٨، "آتٍ لقتلك" الصفحة ٢٣٥.

23. روني شاقد، اصطياد الإرهابيين الثلاثة الذين قتلوا ضابط الشين بيت، يديعوت أحرنوت، ١٤ شباط سنة ١٩٩٤، الصفحة الثانية؛ آتٍ لقتلك الصفحات ٢٣٥-٢٣٦.

24. الحلقة ١، سعد الشاباك يكشف عملية اغتيال كوهين، على موقع القسام في ٣٠ تشرين الأول ٢٠١١، https://alqassam.net/arabic/news/details/ ٣٨١٩ ، شهادة مير اهرينفيلد الحارس الشخصي لكوهين، الذي كان معه في السيارة وأُصيب في الهجوم. وشهادة زيكي يشاي، لم ينجُ نعوم من الكمين المُعد للشين بيت، ١٧ شباط ٢٠١٨، https://www.mako.co.il/news-military/security-q٢_٢٠١٨/Article- htm.٤b٨٩٦٤٠١٤e٤d٢٦١٠٠٤; أفيعاد، موسوعة حماس، الصفحات ٣٦-٣٧، ١٦٧.

شعر حامد بالعار الذي لحق به لموافقته على التعاون مع إسرائيل، فأبلغ أعضاء في حماس عن الأشخاص الذين يتواصل معهم كممثلين للشين بيت، وبدورهم تشاوروا مع الصف الأعلى في الحركة ليستفيدوا من الموقف أقصى استفادة، وتشير ادعاءات حماس اللاحقة أن يحيى عياش الملقب بـ"المهندس" أسهم في هذه المشورة، وأنه حدد مسار العمل، قرر عياش استثمار صلات أبو حامد لتنفيذ عمليات اغتيال بدلاً من عمليات استخبارية من قبيل نقل معلومات مضللة للشين بيت أو معرفة طريقة عمله، لكن حماس ادعت أنها تمكنت قبل اغتيال كوهين من تحصيل معلومات استخبارية ثمينة عن طُرُقِ عمل الشين بيت والمتعاونين الفلسطينيين، وكذلك التلاعب بكوهين بالمعلومات المُضَلِلَة.[25]

تقابل كوهين وأبو حامد عدة مرات، قدم فيها كوهين لأبو حامد بعض المال، لكنه اشترى به السلاح الذي قتله به في نهاية المطاف، وبعد التخطيط لتفاصيل العملية، طلب أبو حامد لقاء كوهين وأخبره أن بحوزته معلومات هامة، واتفقا على أن يكون الاجتماع بتاريخ 13 شباط سنة 1994، في المنطقة الصناعية القديمة قرب بيتونيا، وقدِم كوهين عصر ذاك اليوم مصحوباً بحارسين شخصيين وراكباً سيارة مرسيدس، وكان أبو حامد بانتظاره خلف جدار، وعندما رأى السيارة قادمة أومأ لزميليه فأطلقا النار على السيارة، فأُصيب كوهين بجروح خطيرة ونُقِل إلى المشفى، ليموت في غرفة العمليات. وبعدها بثلاثة أيام أصدرت حماس شريط فيديو عرض فيه أبو حامد مجريات العملية.[26]

لاذ أبو حامد وشريكاه بالفرار وسط ملاحقة قوات الأمن الإسرائيلية لهم، وضُبِط شركاء أبو حامد بتاريخ 24 شباط، حيث قُتِل أحدهم بينما كان يحاول الاختباء، فيما اعتُقِل الثاني وحُكِم عليه بالسجن مدى الحياة لأربع مرات (خرج من السجن في صفقة شاليط في شهر تشرين الأول سنة 2011) أما أبو حامد فقد تملص من الاعتقال لثلاثة شهور أخرى، ثم قُتِل أخيراً بعدما ضُبِط في مخبأ في قرية الرام على يد رجل أمن إسرائيلي.[27]

25. الحلقة الأولى، اغتيال كوهين انتصار للمقاومة في صراع الأدمغة" موقع القسام الإلكتروني، ١٣ شباط ٢٠٢٠، https://alqassam.
ps/arabic/news/details/١٥٨٢٦؛ بيري، "آت لقتلك" الصفحات ١٢٦-٢٣٧.

26. الحلقة الثانية، المجاهدون ينفذون الخطة ويغتالون ضابط الشاباك، موقع القسام الإلكتروني، ١١ تشرين الثاني، https://www.alqassam.
ps/arabic/news١php?id=٢٤٦١٩؛ الحلقة الثالثة: استشهاد واغتيال ضابط الشاباك، موقع القسام الإلكتروني، ١٠ تشرين الثاني ٢٠١١، https://www.alqassam.ps/arabic/news/details/٣٨٨٣، يتوافر ملخص للتسجيل لدى كل من تزيفي زنجر وديفيد ريجيف، أعضاء حماس يتنافسون: أنا قتلت ضابط الشين بيت" صحيفة يديعوت أحرنوت، ١٦ شباط ١٩٩٣، الصفحة ٧؛ تزيفي زينجر وروني شاقيد، عميل لحماس قاد ضباط الشين بيت إلى كمين"، يديعوت أحرنوت، ١٥ شباط ١٩٩٤، الصفحة الأولى؛ شاقيد: اصطياد ثلاثة إرهابيين قتلوا ضابط الشين بيت، الصفحة الثانية.

27. الحلقة الثالثة: استشهاد واغتيال بعد اصطياد ضابط الشاباك، https://: Shabak”

عملياتُ تجنيدِ العملاءِ المزدوجين بعد سنة 2000: إغراء أهداف عسكرية

اندلعت الانتفاضة الثانية في شهر أيلول سنة 2000 بعد شهرين من فشل قمة كامب ديفيد[28]، وتحولت حماس تدريجياً إلى كيان مهم في المقاومة المسلحة لإسرائيل وبدأت بشن هجمات إرهابية كبيرة، ومجدداً رغم المحاولات الإسرائيلية لاعتقال قادتها ونشطائها وتحييدهم تمكّنت حماس من التخطيط لهجمات وتنفيذها، وبعد هجوم أوقع أعداداً كبيرة من القتلى والجرحى في عيد الفصح استهدف فندق بارك في نتانيا في شهر نيسان سنة 2002، شنت إسرائيل عملية السور الواقي، التي أعادت فيها احتلال الضفة الغربية وفككت البنية التحتية لحماس فيها إلى حد بعيد، وواصلت حماس العمل لتتابع إسرائيل مهاجمة الحركة، حتى وصل الأمر لاغتيال الشيخ أحمد ياسين في آذار سنة 2004. ومع إعلان رئيس الوزراء الإسرائيلي حينها أرييل شارون نيته الانسحاب من غزة بدأت حماس العمل لترميم بنيتها التحتية هناك للتحضير لفترة ما بعد الانسحاب، وبعد فض الاشتباك صيف سنة 2005 تنامى الجناح العسكري للحركة حتى بات أقوى مما كان عليه إبان تأسيسه، وبات مُنظَّماً تنظيماً هرمياً نسبياً، وفي شهر كانون الثاني سنة 2006 فازت حماس في انتخابات السلطة الفلسطينية لكن حركة فتح احتفظت بالسيطرة على أجهزة الحكم لسنة ونصف بعدها[29].

خلال هذه السنوات، تابع الفلسطينيون تعقب أولئك المُشتبهين بالتعاون مع إسرائيل. ضبطت أجهزة الأمن التابعة للسلطة الفلسطينية منتصف التسعينات واعتقلت وحققت وحاكمت هؤلاء المشبوهين، وفي بعض الأحيان لاقوا منها تعذيباً وحشياً[30]. لكن حماس لم تفتأ تصطاد المتعاونين، مُتبعة تكتيكات مشابهة للتكتيكات التي اتبعتها في العقد السابق: جمع المعلومات الاستخبارية عن المشبوهين، والتحقيق معهم، ثم قتلهم[31]. نتيجة لتطور الحركة عسكرياً في قطاع غزة ما بين عامي 2004 و2007 وسيطرتها على القطاع صيف سنة 2007، يمكننا تمييز تطور في نشاط تجنيد العملاء المزدوجين، من خلال الاطلاع على الحالات التي سنوردها فيما يلي.

3883/25www.alqassam.ps/arabic/news/details آفياد، قاموس حماس، الصفحات 36-37,167.

28. انعقدت قمة كامب ديفيد في شهر تموز من سنة 2000، وانضوت على مفاوضات مباشرة ما بين رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت ورئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات. وفشلت جهود الوصول إلى حل بين الطرفين، وظهرت الحقيقة التي فرضت نفسها على الواقع بعد شهرين، حيث اندلعت انتفاضة فلسطينية استمرت لأربع سنوات ضد إسرائيل، وعُرِفَت بالانتفاضة الثانية، أو انتفاضة الأقصى.

29. باكوني، "احتواء حماس" الصفحات 36-99؛ جوناثان تشانزر "حماس في مواجهة مع فتح: النضال من أجل فلسطين" (نيويورك: بالغراف ماكميلان، 2008) الصفحات 57-99.

30. لمزيد من الاطلاع انظر على الحكم الطويل وغير العادي الذي أصدرته السلطة الفلسطينية على ستين مُشتبهاً بتعاونهم مع إسرائيل: الملف المدني (محكمة القدس) 5074-03، آ.ج وسبعة عشر آخرين، السلطة الفلسطينية، 24 نيسان 2017.

31. انظر مثلاً الطلب ذي الرقم 08/5340، صالح أحمد صالح الشيخ، الملاحقة القضائية في 29 كانون الأول 2008؛ محكمة العدل العليا 11199/05 القائد العسكري لمنطقة يهوذا والسامرة، في الأول من كانون الثاني 2006.

في السابع من كانون الأول سنة 2004، نفَّذت حماس عملية أسمتها "السهم الثاقب" تمجيداً لذكرى اندلاع الانتفاضة الأولى، وبعد العملية بشهور، حفرت حماس نفقاً في الجزء الشرقي من مدينة غزة ثم زرعت قنبلة كبيرة تتكون من طن ونصف من المتفجرات، وفي يوم التنفيذ، دخل الجيش الإسرائيلي قطاع غزة باحثاً في منطقة النفق، وبعد أن بدأت القوات الإسرائيلية العمل انفجرت القنبلة، مخلفة قتيلاً من الجيش الإسرائيلي وأربعة جرحى[32].

بعد العملية، تبيَّن أن القوات التي دخلت قطاع غزة لتنفيذ أعمال البحث قدِمَت بناءً على معلومات استخبارية مؤكدة تلقاها الجيش الإسرائيلي حول وجود النفق أو حضور مسؤول رفيع من حماس إلى المنطقة، لكن المعلومات التي تلقاها الجيش الإسرائيلي كانت معلومات مُضلِلة قدّمها عميل فلسطيني مزدوج، حيث نقل هذا العميل المعلومات كطعم للجيش الإسرائيلي حول الموقع ليوقعهم في الفخ قرب المتفجرات، يجب التنويه إلى أنه في هذه الحالة بالذات، من المستحيل معرفة فيما إن كان العميل الفلسطيني مُجنَّداً مسبقاً ليخدم المصالح الإسرائيلية ثم تحول بعدها إلى عميل مزدوج، أم أنه كان من الأصل عميلاً لحماس تمكن الشين بيت لاحقاً من تجنيده، لكن البيان الذي أصدرته حماس ألمح إلى الخيار الثاني[33].

الحادث التالي أعقد، ففي منتصف سنة 2006 جنَّدت إسرائيل أحد سكان قطاع غزة[34] للاستفادة منه كمصدر استخباراتي، وبعدها بشهر أو نحوها، وبينما كان المصدر ينقل معلومات حول أنشطة حماس إلى مُشغِّليه، تواصل هذا المصدر مع أحد قادة حماس واسمه نظمي زروب، وأبلغه أنه يعمل لصالح الاستخبارات الإسرائيلية، فعرض زروب على المصدر العمل كعميل مزدوج، وهكذا نقل هذا المصدر لحماس كل شاردة وواردة طلبته منه إسرائيل، وكجزء من علاقة المُشغِّل مع حماس، كان من المفترض أن يوجِّه مُشغِّليه على كيفية الوصول إلى قيادي في حماس مطلوب لأجهزة الأمن الإسرائيلية، فيما كان أعضاء من حماس يزمعون إيقاع القوة الإسرائيلية في فخ فيركنون عبوة ناسفة بالقرب من بيت القيادي، ويكمنون للقوة الإسرائيلية القادمة لاعتقاله.

32. المكتب الإعلامي لكتائب القسام، إبداعات قسَّامية، 20كانون الأول 2004 الصفحات 1و2.

33. عملية السهم الثاقب الأمنية، موقع القسام الالكتروني، لمشاهدة التحضيرات للعملية وحفر النفق وزرع المتفجرات، انظر الفيلم: عملية السهم الثاقب، على موقع القسام الإلكتروني، 25 أيار 2008. ولمزيد من التفاصيل عن العملية كما أوردتها حماس في مؤتمر صحفي وتصريح صادر عنها انظر: مؤتمر السهم الثاقب، على موقع القسام الالكتروني 27 أيار 2008.

34. لن يُعلَن اسم المصدر ولا يزال سرياً.

وبالفعل أبلغ المصدر الفلسطيني مشغله الإسرائيلي عن موقع بيت القيادي في حماس، لكن حين وصلت القوة الإسرائيلية لم يكن القيادي في البيت وباشر الجيش الإسرائيلي بتدمير البيت، ولم يُواجَه الجيش الإسرائيلي بأي قوة.[35]

وفي مرحلة لاحقة تولى قيادي آخر في حماس هو محمد أبو حرب تشغيلَ هذا المصدر، فتابعَ المصدر وسجَّل محادثاته مع مشغليه الإسرائيليين بعد أن وضع المصدر شريحته الهاتفية في جهاز أبو حرب. ووجَّه المصدرَ لطريقة الإجابة على أسئلة المشغِّل الإسرائيلي، وفي عدة مرات أبلغَ المصدرُ بتوجيه من مُشغِّليه في حماس؛ الإسرائيليين بمعلومات خاطئة عن مقرات لحماس أو قيادييها (وخصوصاً في منطقة خانيونس) كي يغري الجيش الإسرائيلي للقدوم إلى المنطقة، فيهاجمه عناصر حماس المتربصون، أو يفجرون به عبوات ناسفة مزروعة في البيوت. وفي هذه الفترة أيضاً عرض المصدر على مشغِّله الإسرائيلي تجنيد شقيقيه للعمل مع الاستخبارات الإسرائيلية؛ وكانت النية الحقيقية هي استخدامهما كعميلين مزدوجين، وهكذا أقام المُشغِّل الإسرائيلي اتصالاً بهم، لكن لم تُعرف نتيجة هذه المحاولات.[36]

بعد وفاة أبو حرب، تولى رائد العطار -قائد كتيبة، وناشط رفيع المستوى في حماس- تشغيل المصدر، فأعطاه هاتفاً خليوياً جديداً ووجَّهَهُ بإبلاغه عن كل ما يخصُّ نشاطه مع الاستخبارات الإسرائيلية، وخطَّطَ العطار هو الآخر لنقل معلومات خاطئة للإسرائيليين حول وجود أفراد من حماس في منطقة صوفا، وكانت الفكرة هي اجتذاب جنود إسرائيليين إلى الموقع لاختطافهم، كما قدَّمَ المصدر للعطار معلومات عن بعض سكان غزة ممن يُشتبه بتعاونهم مع الاستخبارات الاسرائيلية.[37]

وفي نهاية المطاف اعتقلت السلطات الإسرائيلية المصدر. قدَّم المصدرُ معلوماتٍ قيِّمَةً لحماس رغم أنها لم تستفد منها لتحقيق إنجازات هامة، ربما لأن وحدات حماس العملياتية لم تكن حسنة التنظيم في تلك الفترة.

35. التحقيقات في العديد من القضايا الإجرامية 09/686 "دولة إسرائيل، 1 آذار 2009، الصفحات 1و2.

36. المصدر السابق.

37. المصدر السابق.

تجنيدُ العملاءِ المزدوجين ما بين عامي 2010 و2020: عملياتُ تجنيدِ العملاءِ المزدوجين طويلةِ الأمدِ

في شهر حزيران من عام 2007 انتزعت حماسُ السيطرةَ على قطاع غزة، فبعد قتال شوارع دموي عنيف، انتصرت حماس وباتت سلطةَ الأمر الواقع في قطاع غزة. ومذ ذاك طوَّرت حماس تدريجياً حكومة مركزية كان لها اليد الطولى لفرض النظام العام الذي تراه مناسباً[38]. ومنذ اللحظة التي تولت فيها حكم غزة لم تفتأ حماس تطور جناحها العسكري حتى بات قادراً على العمل بحرية أكبر للدفاع عن المنطقة التي باتت الحركة تسيطر عليها، وبات الجناح العسكري أكثر احترافية واستحدث أقساماً منفصلة، منها قسم الاستخبارات المُكلَّف بجمع وتحليل المعلومات الاستخبارية حول إسرائيل لتلبية احتياجات حماس المتزايدة. وإلى جانب قسم الاستخبارات العسكرية، استحدثت حماس بعض الأجهزة الحكومية لفرض سيادتها، بغية استغلال الإمكانات التي استولت عليها عندما داهمت مقرات القيادة التابعة للسلطة الفلسطينية خلال القتال الذي أفضى لسيطرتها على القطاع. وإحدى أدواتها القوة الأمنية الخارجية، وهو يمثِّل فعلياً جهاز مكافحة الاستخبارات في نظام حماس، وبذلك جعلت حماس من عمل ملاحقة من يُشتبه بأنهم متعاونون عملية مؤسسية، واستخدم جهاز القوة الأمنية الخارجية ما بحوزته من أدوات لكشف المشبوهين واعتقالهم ومحاكمتهم وتنفيذ الأحكام الصادرة بحقهم بما في ذلك الإعدام، في ساحة مدينة غزة، وفي ذات الوقت انتقلت عمليات تجنيد العملاء المزدوجين إلى مرحلة أعقد كما سنتحدث فيما يلي.

ما بين عامي 2016 و2018 نفَّذت حماس عمليةً ضِدَّ الاستخبارات الإسرائيلية، تضمنت تشغيل عميل مزدوج، وبدأ الحادث عندما اكتشف جهاز أمني تابع لحماس نشاطاً استخباراتياً إسرائيلياً لتجنيد أحد سكان قطاع غزة، نعرف الحرف الأول من اسمه فقط: (ن)، وهو أحد أفراد حركة حماس، وتواصل مع الاستخبارات الإسرائيلية. في البداية ارتاع (ن) من الموقف لكن مُشغِّلي حماس طمئنوه، وأطلعوه على معلومات عن خطة مدبَّرة لتضليل الإسرائيليين، وعن دوره فيها كعميل مزدوج. وأوكلت حماس لكتائب عز الدين القسام الاضطلاع بالعملية، ووفقاً للرموز التي وردت في فيلم "الوهم" الذي يروي القصة من منظور حماس، فقد كان العميل أحد أفراد جهاز الاستخبارات العسكرية.[39]

---

38. تشانزر "حماس في مواجهة فتح، الصفحات 120-107؛ باكوني "احتواء حماس" الصفحات 133-170؛ بينيديتا بيرتي، الجهات غير الحكومية كمزودين لحكومة حماس في غزة ما بين السيادة الفعالة والسلطة المركزية والمقاومة، "ميدل إيست جورنال" العدد 69، رقم 1، 2015، الصفحات 9-31.
39. الوثيقة سراب ضرب أمنية موجعة للاحتلال، موقع القسام الإلكتروني، قناة الميادين، نُشر لأول مرة بتاريخ 18 كانون لأول سنة 2019، https://www.

وبدأت حماس تسجيل المحادثات الهاتفية بين الاستخبارات الإسرائيلية و (ن)، وكانت أولى التعليمات لـ(ن) تتعلق بكيفية تصرفه مع مشغِّله الإسرائيلي وكيف يتصرف بوجوده. وكشفت المحادثات، مثلاً، كيف يسأله كمال (المشغِّل الإسرائيلي) حول النتائج التي تمخَّضت عن مهمة كان قد كلَّفَهُ بها، كما أراد معرفة ما إن كان قد فُتِّش على الحاجز في طريقه إلى الاجتماع، وفي نهاية المحادثة يُهدِّئ المُشغِّل من روع (ن) ويطلب منه مواصلة التصرف بشكل طبيعي. من المحادثة ما بين (ن) ومشغليه الإسرائيليين، أدركت حماس أن إسرائيل تنوي -بمساعدة ن- تدميرَ مخزون الحركة من الصواريخ عبر تحديد مواقع إطلاقها عندما يتصاعد الصراع، وكذلك مهاجمتها استباقاً[40].

في ضوء هذا قررت حماس تنفيذ مخادعة عبر تشغيل (ن) عميلاً مزدوجاً، وهكذا سيكون بمقدور الحركة تتبع الأهداف المهمة بالنسبة للاستخبارات الإسرائيلية، ومعرفة وسائلها وطرقها، ومفاجئتها بمواجهة أفعالها، وزعزعة ثقتها بقدرتها على جمع المعلومات عن حماس من الداخل. وهكذا سجلت حماس مثلاً محادثةً بين (ن) ومُشغِّله الإسرائيلي الذي كان يُعَلِّمُهُ كيفية استخدام كاميرا مخفية لجمع المعلومات الاستخبارية، وعرفت حماس أن هذا المصدر لم يُبتَعَث لتحديد مواقع الصواريخ فحسب بل لتصوير الصواريخ نفسها حتى يتسنى للإسرائيليين معرفة الأنواع التي بحوزة حماس ومدياتها وعددها، وجميع الإجابات التي نقلها (ن) إلى مُشغِّليه الإسرائيليين لم تكن صحيحة وأملتها عليه استخبارات حماس[41].

بعدها، وجَّهَت الاستخبارات الإسرائيلية (ن) إلى صندوق ميت (مكان متفق عليه لا يلفت الانتباه لتبادل الرسائل) حيث كان من المفترض أن يلتقط لاحقاً معدات وأدوات أخفتها هناك له. وفي محادثة لاحقة، عرفت حماس بموقع المعدات والطريقة التي وُجِّهَ بها (ن) كي يقترب من الموقع متخذاً كافة الاحتياطات الضرورية (أي؛ أن يتأكد من خلو الشارع وأنه غير مُراقَب عندما يلتقط المعدات والأدوات)، وعندها طلبوا من (ن) استخدام هذه الأدوات لعطب الصواريخ وجعلها غير قابلة للعمل. وشرح المُشغِّل لـ(ن) كيف يستخدم المثقب الذي بات بحوزته لتحقيق الغرض المطلوب، ونفَّذ (ن) ما طُلِب منه، لكن على صواريخ كانت حماس قد انتقتها ووضعتها في مواقع مختارة بحيث تستطيع تتبع (ن) ودراسة الطائرات المسيرة التي سترسلها إسرائيل لمراقبة تحركاته.

.38youtube.com/watch?v=oyRoP1tZ5QQ, 1:08–2:52

40. المصدر السابق، الدقيقة 2:53-3:57.

41. المصدر السابق الدقيقة3:57-7:43.

. وحازت حماس معلومات دقيقة عن كل الأدوات وطرق التوجيه التي يستخدمها العملاء الذين تديرهم إسرائيل، وحصلت الحركة على فيديوهات كان مُشغِّلو (ن) الإسرائيليون قد أرسلوها له، كان من بينها تعليمات مُفصَّلَة عن استخدام الأدوات ومواد متنوعة تتعلق بالعمل وطُلِبَ منه استخدامها لتدمير صواريخ حماس .[42]

ولمست حماسُ أدلةً واضحةً على نجاح خداعها وأن المشغلين الإسرائيليين صدَّقوا أنه يعمل لصالحهم، وفي محادثة بين كمال و (ن) عبَّرَ عن تقديره العميق للعمل الذي يقوم به (ن) خدمةً لإسرائيل، حتى أنه نقل له شُكْرَ مديره الذي يتولى قطاع غزة، وحتى كبار المسؤولين في إسرائيل. وفي نقطة مُعيَّنَة بعد أن قضى (ن) سنتين من العمل كعميل مزدوج أدرك الجانب الإسرائيلي أن هنالك شيئاً خاطئاً في عمل ن، وفي المحادثة الأخيرة لـ (ن) مع الإسرائيليين، المُشغِّل الإسرائيلي الجديد -منير- وبَّخ (ن) على تصرفه، فردَّ عليه باستهانة بأن العملية الإسرائيلية فشلت وأن كتائب القسام كانت على علم تام بكل شيء من البداية. ولتضخيم الأثر النفسي أوضحت حماس بالصور إطلاق ذات الصواريخ التي زعم (ن) إعطابها، وأنه بفضل عملية العميل المزدوج الناجحة بقيت فعالةً واستُخدِمَت ضد إسرائيل .[43]

تحليل لتجنيد حماس العملاء المزدوجين

تحليل الحالات الواردة أعلاه تثبت رؤىً أساسية عديدة تتعلق بمزايا تجنيد العملاء المزدوجين بالنسبة للكيانات التي لا ترقى لمستوى دولة في صراعها اللا متناظر مع الدولة. لعل الأساس المنطقي لمثل هذه الكيانات يتسم بخمس فوائد مترابطة: الوصول المباشر إلى قلب العدو، والحصول على معلومات استخباراتية عالية القيمة ثم إعادة توجيهها ضد العدو، إلحاق أذى مادي بالعدو، إلحاق أذى معنوي، وتسجيل نقاط في حروب البروبوغاندا.

أولاً، لأن الحرب التي تخوضها الجماعات التي لا ترقى لمستوى دولة حربٌ لا متناظرة فهي تعاني من تخلف طبيعي عن العدو في مصادر المعلومات الاستخبارية وفي عمليات تجنيد العملاء وتشغيلهم في عمق استخبارات دولة العدو ومؤسساته العملياتية. عبر تجنيد العملاء المزدوجين، تُؤمِّن حماس وصولاً مباشراً إلى المؤسسات التي تُشكِّل أعظم المخاطر عليها؛ ألا وهي الاستخبارات الإسرائيلية، وخصوصاً الشين بيت.

42. المصدر السابق الدقيقة 7:44-16:35.

43. المصدر السابق 17:38-19:00، 22:45-25:15.

لقد حققت هذا عبر استخدامها الحد الأدنى من الموارد واختصرت مراحل خطرة من دورة التجنيد، لا سيما الكشف والتقييم[44]، فلم يكن على حماس سوى استخدام رغبة العملاء بأن يعملوا عملاء مزدوجين تتعامل معهم الاستخبارات الإسرائيلية، سواء كان هذا بدافع أيديولوجي أو لعلمهم أن حماس لا تمانع رجوعهم إليها. تنطبق هذه المزايا على الدولة التي تعمل على تجنيد عملاء مزدوجين، لكن في سياق الحرب اللامتناظرة تجعل صعوبة تجنيد المصادر المفتوحة البشرية عالية القيمة، وندرة المصادر العامة من تجنيد العملاء المزدوجين عملياتٍ قيِّمَةً للغاية.

ثانياً، ولنستعر مصطلحات عسكرية وسياسية: تمكنت حماس بتجنيدها العملاء المزدوجين من تحصيل معلومات متنوعة حول عمل الاستخبارات الإسرائيلية في تجنيد العملاء، وطرق التشغيل، ووسائل تواصلها مع العملاء، وحول وجود عملاء آخرين أيضاً، كما حصَّلَت حماس معلومات لا تُقدَّر بثمن حول الطريقة التي تجمع فيها إسرائيل المعلومات الاستخباراتية وأهداف هذا المجهود. كان من الصعب جداً إن لم يكن مستحيلاً على حماس أن تكسب هذه المعلومات بطرق أخرى. كما نجحت حماس في عمليات لتجنيد العملاء المزدوجين من نقل التضليل المعلوماتي إلى الاستخبارات الإسرائيلية باستخدام خط مباشر، كان على الأقل في المراحل الأولى موثوقاً، وما كانت حماس لتجد خطوطاً أخرى لنقل التضليل المعلوماتي إلا بشق الأنفس.

وثمة إنجاز هام آخر يتمثل في القدرة على تحقيق نجاحات عملياتية نتيجةً لعمل العملاء المزدوجين، ومعظم عمليات تجنيد العملاء المزدوجين هذه أدت إلى إيذاء أو محاولة إيذاء عناصر أمن إسرائيليين. في البداية كان مشغلو العملاء من الشين بيت، ثم الجنود الإسرائيليين، والهجمات التي استهدفت إيقاع قوات إسرائيلية في كمين -العمليات التي جاءت نتيجة جهود عملاء مزدوجين- خُطِّطَت بدقة. عبر تجنيدها العملاء المزدوجين أكسبت حماس معلومات استخبارية عالية القيمة وحيوية للعملية التي كانت فيها الطرف المبادر: فحددت حماس أين ومتى تضرب، بينما أُخِذَت إسرائيل على حين غرة، فقد أدت آخر عملية تحدثنا عنها إلى نجاح عملياتي أيضاً، حيث حيَّدَت القدرة الإسرائيلية على الإضرار بصواريخ الحركة.

وكنتيجة للإنجازات المستمرة على المستويات العملياتية والاستخباراتية، شكَّلَت جهود عملاء حماس المزدوجين دافعاً كبيراً لمعنويات حماس وضربةً مؤلمةً لمعنويات الجانب الإسرائيلي. كان هذا جلياً جداً في حالات تجنيد العملاء المزدوجين في التسعينات،

44. لمزيد من الاطلاع على عمليات كشف العملاء في دورة التجنيد، انظر: ريغان "مصطلحات وتعاريف" الصفحات 271-272.

فقد كان العنف المُوَجَّه لمشغلي الشين بيت -رأس الحربة في الاستخبارات الإسرائيلية- مصدر فخرٍ كبير لحماس وحزنٍ عميق للشين بيت. وجهود تجنيد العملاء المزدوجين اللاحقة التي أثبتت قدرة حماس على إدارة مصادر بشرية لمكافحة الاستخبارات ضد إسرائيل، أضرَّ بالعمليات والاستخبارات الإسرائيلية وقُتِلَ بسببها جندي واحد على الأقل، بينما ارتفعت معنويات الحركة عالياً في عنان السماء. كتب محمد أبو حاربيد المحلل في موقع الرسالة التابع لحماس: "ما تزال حرب الاستخبارات بين الاحتلال والمقاومة على أشدها، وثمة تبادل للرسائل بين الجانبين، فالغاية هي تقويض ثقة العدو بعملائه في قطاع غزة وأن يعرف قدرة المقاومة على تحويل العملاء إلى فخاخ للعدو ".[45]

البعد الخامس مرتبط بالمعنويات، وهو النجاح النفسي. يستهدف نشاط أي كيان لا يمثِّل دولة في الصراع اللامتناظر اجتثاث إرادة الطرف الآخر على القتال، وبنفس الوقت تقوية إرادته وإرادة الجماعات التابعة له والحفاظ عليها. حرصت حماس في كل عمليات تجنيد العملاء المزدوجين الناجحة على تحويله إلى انتصار نفسي. فأذاعت حماس هذه الجهود للعلن على كل قنواتها واتخذت خطوات للاحتفاء بذكراهم كجزء من تراث الحركة.

وثمة نتيجة رئيسية أخرى مستقاة من هذا الاستقصاء لعمليات تجنيد العملاء المزدوجين التي تقوم بها حماس هي أن عمليات التجنيد آخذة في التطور مع كل حادثة. وهذا واضح في الطبقات الأربع الرئيسية: المُشغِّل والهدف والإطار الزمني ونشر النجاح (الجدول1). كانت أولى عمليات تجنيد العملاء المزدوجين محدودة وتعاملت مع خلايا محلية لحماس، لكن شيئاً فشيئاً انضمت مستويات أعلى، وآخر عملية أدارتها الاستخبارات التابعة لحماس وأجهزتها الأمنية بطريقة حسنة التنظيم. كما تطور الهدف أيضاً: فبينما استهدفت أولى المحاولات مُشغِّلي الشين بيت المحليين، اتجه المجهود بعد سنة 2000 لاستدراج القوات الإسرائيلية إلى كمائن. وكانت آخرُ عمليةٍ خداعاً مستمراً بهدف إيذاء واحدة من أهم المجهودات الإسرائيلية، ألا وهي جهود تدمير صواريخ حماس.

45. الرسالة، 19 كانون الأول سنة 2019. اطلع على المزيد من جهود حماس للتنصل من هيمنة الاستخبارات الإسرائيلية في كتاب نيتانل فلامر "التنصل من التنصل: إستراتيجية إسرائيل إزاء إستراتيجية حماس خلال حرب غزة سنة 2021" مجلة شؤون إسرائيل، العدد 28، رقم 3 (2022) الصفحات 373-393

الجدول (1) مراحل عمليات تجنيد حماس للعملاء المزدوجين

السمات التنظيمية لعمليات حماس في تجنيد العملاء المزدوجين					
الفترة	المرحلة	المُشغِّل	الهدف	الإطار الزمني	النشر
التسعينات	خلايا منفردة	أفراد وقادة محليون	اغتيال مشغِّلين محليين	أيام-أسابيع	مُلصقات وتصريحات
العقد الأول من الألفية	شبه منظَّمة	قادة عسكريون	كمائن للجيش الإسرائيلي	شهور-سنوات	تصريحات صحافية من المكتب الإعلامي
العقد الثاني من الألفية	منظَّمة	جهازي الاستخبارات ومكافحة الاستخبارات	خداع مستمر يؤذي جهود إسرائيل الرئيسية	سنوات	فيديوهات مُعدّة بعناية، ووُزِّعَت على نطاق واسع

ملاحظة مؤلف هذا المقال هو من أعدَّ هذا الجدول لهذا البحث بالذات.

كما تزايدت العمليات من حيث المدة، من عدة أيام إلى أسابيع وشهور وصولاً إلى سنوات كما في المثال الأخير، وتغيَّرت طريقة الإعلان عن الحالات واستخدامها للتأثير على الوعي العام، حيث كانت وسيلة الإعلان عن أولى العمليات هي الملصقات والتصريحات الصحفية، ثم أخذت حماس تطلق بيانات ووثائق للتحضيرات للعملية، وفي العملية الأخيرة، أصدرت حماس فيلماً مُعدًّا بعناية من حيث السيناريو والإخراج، وبثَّته على شبكة دولية بعد حملة ترويج عامة له، بغية تعظيم الانتصار نفسياً.

الخاتمة:

جنَّدت حماس العملاء المزدوجين عدة مرات، ففي التسعينات كانت الغاية تحقيق أهداف قصيرة الأمد مثل قتل مُشغِّل لمتعاون، وفي بداية القرن الحادي والعشرين باتت عمليات تجنيد العملاء المزدوجين أطول مدى؛ إذ تستمر ما بين شهر إلى عدة أشهر، وأعقد: بهدف تقديم معلومات مضللة للعدو. وبعد سيطرة حماس على قطاع غزة سنة 2007، بذلت أجهزة حماس الحكومية جهوداً أكثر تنظيماً فيما يخصُّ المتعاونين عبر قوة الأمن الخارجي التي تعاونت مع استخباراتها العسكرية، وأمست عمليات تجنيد العملاء المزدوجين أكثر تنظيماً وتعقيداً، واستُخدِمَت دعائياً لأغراض[45] الردع وغيرها من الغايات.

يُثبِتُ هذا البحث عن عمليات تجنيد العملاء المزدوجين التي قامت بها حماس ضد إسرائيل قوة هذه الأداة بيد الجماعات التي لا تُمثِّلُ دولةً -الطرف الأضعف- في حرب الاستخبارات اللامتناظرة التي تشنها على الدول. وباستطاعتها استخدام هذه الطريقة لإحراز نجاحات عملياتية واستخباراتية في ذات الوقت لدرجة حرمان العدو من مصادر مكافحة الاستخبارات البشرية النظامية، مثل اعتقال وتصفية المتعاونين. لقد تمكنوا من تحقيق هذا عبر استخدام مصادرة قليلة نسبياً، من تجنيد العملاء من النقطة صفر حتى يصبح العميل مصدراً بشرياً عالي القيمة، كما أن دراسات الحالة الواردة هنا تثبت أن عمليات التجنيد منصة ممتازة لخوض معركة على معنويات الجمهور ووعيه، سواء كان جمهور العدو أم الجماعة. كما يكشف هذا التحليل لجهود حماس فيما يتعلق بتجنيد العملاء المزدوجين أهمية الحذر من هذا التهديد وتداعياته على أجهزة الاستخبارات ومكافحة الاستخبارات التابعة لدولة تخوض صراعات مع تنظيمات إرهابية وغيرها من الفئات التي تتبنى العنف وليست دولة.